

ممثل الحاكم؛ واقعية زايد وسياساته جاء تعين الشيخ زايد بن سلطان ممثلاً للحاكم في العين في أعقاب الحرب العالمية الثانية استجابة للظروف السياسية المحلية والدولية المتغيرة. وفيما يتعلق بتاريخ أبوظبي فقد جاء التعين ليمثل تطوراً على قدر كبير من الأهمية، ومنذ عهد الشيخ شخبوط بن ذياب في عشرينيات القرن التاسع عشر لم يسبق لأحد أعيان عائلة آل نهيان أن حكم منطقة العين . في أواخر عام 1945 توفي في العين الشيخ خليفة بن زايد الكبير عميد أسرة آل نهيان ، ولم يباشر الشيخ زايد مهام منصبه لأنَّه كان يرافق ابن عمه الشيخ محمد بن خليفة في رحلة إلى الهند . ثم شد الرحال إلى العين بعد ذلك بمدة وجيزه . كان الشيخ زايد موجوداً في العين واستقبله هناك . وسرعان ما واجه ممثل الحاكم المعين حديثاً في العين بعض المشكلات الملحة، كانت واحدة العين المنطقة الوحيدة من إمارة أبوظبي القابلة للزراعة بشكل مستمر وبالتالي فإن رخاءها كان مرتبطة بتوفير الماء ، القرون الماضية من خلال شبكة من الأفلاج قنوات مائية ) كانت مياه جبل حفيت تتنقل واحتبس في مناطق أخرى بسبب عدم إزالة العوالق والترسبات بشكل منتظم، وفضلاً عن ذلك أدى ضعف نفوذ حاكم أبوظبي في الواحة إلى عجز العرفاء عن القيام بمهامهم بالنزاهة المطلوبة، وعلى الآثرياء القادرين على الدفع مقابل الحصول على هذا الامتياز . لذا كانت أول مهمة اقتصادية وإنسانية واجهت الشيخ زايد عند تعينه ممثلاً للحاكم في العين عام 1946 هي ضمان حسن إدارة موارد المياه وإعادة انسانيتها وتوزيعها، وقد منح الشيخ شخبوط أخيه الشيخ زايد سلطة كاملة لمعالجة هذا الأمر بالنيابة عنه، وعرف الشيخ زايد قبل تعينه ممثلاً للحاكم في العين أنه على مدى أكثر من عشرين عاماً كانت قلة قليلة تمتلك أولوية الحصول على الماء، وكان تغيير الوضع الذي أضحته بعد فترة طويلة ممارسة راسخة يستفيد منها أفراد الأسرة الحاكمة بقدر كبير إلى جانب الآثرياء وأصحاب النفوذ أمراً يتطلب الحنكة والدبلوماسية . كانت قوة الشخصية أعظم سمات الشيخ زايد عندما عين ممثلاً للحاكم في العين، كما كان معروفاً وموثقاً به عند أهل الواحة، على الرغم من أنه لم يكن قادراً حينها على مكافأتهم بغير القليل من الدعم المادي . وبطبيعة الحال كان الشيخ زايد يحظى أيضاً بثقة أخيه حاكم أبوظبي، ولم يكن هناك ما يسبب خلافاً بينهما في تلك المرحلة على النحو الذي ظهر في سنوات لاحقة . ومما لا شك فيه أنه رأى أن نجاح الشيخ زايد في تعزيز نفوذ أبوظبي في العين سيكون في مصلحته كحاكم ومصلحة أسرته عموماً، بفائدة كبرى على الإمارة كلها . وسرعان ما ظهرت النتائج الإيجابية لتعيين الشيخ زايد ممثلاً للحاكم في العين؛ وكانت المهمة التي كلف بها الشيخ زايد المختصين هي تنظيف القنوات الحالية وإصلاح كل المواقع التي انهارت فيها الجدران الصخرية، وصار الشيخ زايد يتبع بنفسه سير هذا العمل ويقوم بتفقد تنفيذ الصيانة وأعمال الترميم بشكل منتظم، واتضحت الرسالة المعنية من خلال هذا الجهد الحديث والمتواصل لأهل العين جميعاً، فللمرة الأولى حسبما يذكر أهل المنطقة وأن ما تبقى منها لا يكفي لسد احتياجات العدد المتزايد من سكان الواحة من المياه، وكان الحل المنطقي وال合تمي هو محاولة إيجاد مصدر جديد لتزويد الواحة بموارد مائية أخرى، وهي عملية تتطلب مهارة هندессية، ولكنها في نهاية الأمر عمل بسيط . أما في أواخر الأربعينيات فلم تكن هناك أنابيب ممدودة في العين، وكان الخيار الوحيد المتاح حينها هو حشد طاقات أهل العين لحفر الأفلاج على الطريقة التقليدية . ولم يكن ذلك العمل ليتم بمجرد أن يأمر الشيخ زايد بشق قناة جديدة، لذا قام الشيخ زايد بزيارات متكررة إلى شيخ وأبناء القبائل استمرتأشهراً عديدة . وقد استطاع بما يتمتع به من أناة وحصافة أن يزيل اعتراضاتهم إلى أن ضمن موافقتهم على تزويد الرجال للبدء في حفر القنوات الجديدة . بل يقال إن قلة قليلة من عرب المنطقة كانت لديهم المهارة الكافية لبناء مثل هذه الشبكة، ومن ثم ينصل الماء في ممر يشبه السرداد تحت الأرض المسافة تصل إلى 1500 متر قبل أن يصل إلى السطح، ويطلب نظام الري هذا معدلات ثابتة ومستمرة من الأمطار لكي ينساب الماء بمقدار ثابت، وقد بدأت الشبكة عملها بشكل متكملاً بعد نحو عقدين . كما قام الشيخ زايد أثناء تنفيذ مشروع فلج "الصاروخ" بإدخال إصلاحات شاملة على نظام توزيع المياه نفسه ؛ فوفقاً للترتيبات المعمول بها يتدفق الماء من القناة الرئيسية عبر القنوات الجانبية في توقيتات معينة تفصل بينها فترات محددة، لقد كان ذلك الوضع متعارضاً تماماً مع مفهوم الشيخ زايد للعدالة، ففي رأيه أن مياه الفلج التي تأتي من باطن الأرض حق مشترك وعام لكل الذين يعيشون على الأرض ، وكان تصميمه على توفير المياه للجميع نابعاً من إيمانه العميق والتزامه 43 بالتعاليم الإسلامية بالإضافة إلى إحساسه بالمسؤولية والتزامه بالتقاليد . وما إن ظهرت احتمالات توافر المياه بتكلفة منخفضة حتى بدأت تختفي سوق بيع مياه الأفلاج التي كانت تدر أرباحاً طائلة على المحتكرين الذين يأتوا يرون أن من مصلحتهم أن يتبعوا خطط الشيخ زايد وأوامره في هذا الصدد، وتبعاً لذلك صارت المياه متاحة للجميع مجاناً مع انتهاء فترة حكم الشيخ زايد للعين . ولكن الطريقة التي حقق بها الشيخ زايد هذا الإنجاز العظيم لا تقل أهمية من حيث ما انطوت عليه من دلالات . إذ أظهر الشيخ زايد التزامه الشخصي بإنجاز المشروع عندما شارك بنفسه في أعمال الحفر، فها هو زعيم لا يكتفي بالحديث عن

أهمية العمل، ولم يكن أسلوب الشيخ زايد في إدارة الأمور باعتباره ممثلاً للحاكم في العين قائماً على إصدار الأوامر والتعليمات الصارمة للآخرين، وقد تعززت مهارته في الإقناع وازداد نفوذه مع ذيوع القصص وتعدد الروايات حول قوة شخصيته ونجاح جهوده في كافة أنحاء إمارة أبوظبي؛ حيث يتبادلان الحوار بكل ود وترحاب فإذا لم يستجب هذا الزعيم فإن الشيخ زايد يعاود الكرة معه حتى يقتنع ويستجيب لرأيه وفيما يتعلق بمهمة إعادة توزيع المياه بصورة عادلة في العين فقد استغرق الأمر من الشيخ زايد نحو عقدين لتحقيق كل ما يطمح إليه من أجل شعبه؛ وقد بدأ بتقديم القدوة الحسنة حين تنازل عن مطالبته بحقه في الماء، ولم يشكك أحد من المقربين منه في العين في قدرته على اتخاذ قرارات حازمة، بدليل أنه عندما كان يحكم في المنازعات لم يتowan في إصدار الأحكام الصارمة عند الضرورة، غير أنه كان يسعى قبل ذلك إلى كسب ود الآخرين وضمهم إلى صفه. حيث كان يتجول بينهم على صهوة فرس أو على ظهر جمل، وفي مرحلة لاحقة في سيارة تنتقل بين أنحاء العين . وكما أشار جولييان ووكر عندما كان يعمل في مطلع شبابه ضابطاً سياسيًا بريطانياً في الإمارات المتصالحة : وكانوا يتحدثون إلى الشيخ زايد وينادونه باسمه، وكان الشيخ زايد يصغي إلى كل حالة ويناقش بعض الحالات أحياناً مع الشيوخ الموجودين حوله، ونحن جلوس حول النار التي توقد في المساء تحتسي الشاي، بينما الرجال من حولنا يتذانبون أطراف الحديث بدأت حينها أتفهم الأسباب التي جعلت الشيخ زايد يحظى بهذا القدر من الاحترام والتقدير، ليس بين أتباعه فقط ولكن أيضاً في أوساط القبائل التي تعيش في المنطقة الواسعة حول واحة البريمي [العين]. ونتيجة لذلك فإنه حتى القبائل المخالفة لبني ياس أضحت تكن تقديرًا خاصًا للشيخ زايد، مما مكنه حينها من زيارة هذه القبائل التي رحب به ترحيباً لا يلقاء أي من أفراد أسرته الحاكمة. وإذا كانت سياسة التنمية والتطوير التي تبناها الشيخ زايد لمصلحة شعبه قد بدأت بالإصلاحات في مجال الري ، فمع نهاية الفترة التي قضتها في منصب ممثل الحاكم في العين كان الشيخ زايد قد أتى العين الحصول على خدمات تعليمية وصحية، ويروى عن الشيخ زايد أنه كان . وعندما أصبح حاكماً لإمارة أبوظبي عام 1966 تحولت أحلامه إلى حقيقة واقعة بفضل عزيمته وإصراره على تحسين مستوى معيشة شعبه . لقد أصبح أسلوب الشيخ زايد في الحكم نهجاً جديداً لم تعرفه إمارة أبوظبي من قبل، وأثناء وجود الشيخ زايد في العين كان إخوه يتربدون عليه، بل إن صيته وشهرته قد وصلت إلى قبائل الربع الخالي قرب الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية . و يحدثنا الرحالة البريطاني ويلفورد ثيسiger عن أنه قد سمع عن الشيخ زايد قبل أن يلقاه في واحتراوموا فيه قوة شخصيته وحكمته وقوته الجسمانية . ويعرف كيف يقاتل « : 47 ورأى بعينيه يوماً بعد يوم ليس بوصفه بدويًا فحسب " كواحد ولكن بوصفه زعيماً كسب ولاءهم واحترامهم المنقطع النظير . التطورات الإقليمية وتعاظم دور الشيخ زايد ويعتبر النزاع الذي وقع بين أبوظبي ودبي خلال الفترة 1945 – 1948 واحداً من الأمثلة التي تجسد ما يمكن أن يحدث في حالة غياب مثل هذه السيطرة، وتعود جذور هذا النزاع إلى خلاف حدودي بسيط بدأ قبل أن يتولى الشيخ زايد منصبه في العين، وما لبث أن تحول إلى نزاع موسع بين القبائل البدوية المتحالفه في الإمارتين، وسرعان ما بين بعد ذلك أن أيّاً من حاكمي الإمارتين لم يكن قادرًا على احتواه أو السيطرة عليه . وفي نهاية المطاف تمكّن شيخان شابان من الإمارتين؛ هما الشيخ زايد من أبوظبي والشيخ راشد من دبي من الدخول في الحوار الذي أفضى في نهاية الأمر إلى بسط الأمن والسلام . فالمنطقة التي طالبت بها دبي لم تكن ذات أهمية خاصة، ولم يعترف ونجح في أن يظفر بتعهد من قبيلي المناصير وآل بوشامس باحترام هدنة لمدة شهرين. غير أن السلام الهش الذي تم التوصل إليه قد انهاز بسبب عدم قيام الشيخ شخبوط بتعويض بعض القبائل التي أيدته في نزاعه مع دبي عمما خسرته في ذلك النزاع، مسماً لدى القبائل المتحالفه مع أبوظبي، قبائل دبي . ولم تتوقف تماماً إلا في عام 1949 . كان الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن احتواء النزاعات بعد اندلاعها يصبح أمراً صعباً؛ وتحديداً في صيف عام 1950 ، العقوبة قاسية من قبله . الإمارتين لم يكن قادرًا على احتواه أو السيطرة عليه . وفي نهاية المطاف تمكّن شيخان شابان من الإمارتين؛ هما الشيخ زايد من أبوظبي والشيخ راشد من دبي من الدخول في الحوار الذي أفضى في نهاية الأمر إلى بسط الأمن والسلام . فالمنطقة التي طالبت بها دبي لم تكن ذات أهمية خاصة، ولم يعترف ونجح في أن يظفر بتعهد من قبيلي المناصير وآل بوشامس باحترام هدنة لمدة شهرين. غير أن السلام الهش الذي تم التوصل إليه قد انهاز بسبب عدم قيام الشيخ شخبوط بتعويض بعض القبائل التي أيدته في نزاعه مع دبي عمما خسرته في ذلك النزاع، مسماً لدى القبائل المتحالفه مع أبوظبي، قبائل دبي . ولم تتوقف تماماً إلا في عام 1949 . كان الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن احتواء النزاعات بعد اندلاعها يصبح أمراً صعباً؛ وتحديداً في صيف عام 1950 ، العقوبة قاسية من قبله . الإمارتين لم يكن قادرًا على احتواه أو السيطرة عليه . وفي نهاية المطاف تمكّن شيخان شابان من الإمارتين؛ هما الشيخ زايد من أبوظبي والشيخ راشد من دبي من الدخول في الحوار الذي أفضى في نهاية الأمر إلى بسط الأمن والسلام . فالمنطقة التي طالبت

بها دبي لم تكن ذات أهمية خاصة، ولم يعترف ونجح في أن يظفر بتعهد من قبيلتي المناصير وآل بوشامس باحترام هدنة لمدة شهرين. غير أن السلام الهش الذي تم التوصل إليه قد انهار بسبب عدم قيام الشيخ شخبوط بتعويض بعض القبائل التي أيدته في نزاعه مع دبي مما خسرته في ذلك النزاع، مسموعاً لدى القبائل المتحالفه مع أبوظبي، قبائل دبي. ولم تتوقف تماماً إلا في عام 1949 . كان الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن احتواء النزاعات بعد اندلاعها يصبح أمراً صعباً؛ وتحديداً في صيف عام 1950 ، العقوبة قاسية من قبله . الإماراتين لم يكن قادراً على احتواه أو السيطرة عليه . وفي نهاية المطاف تمكّن شيخان شبابان من الإماراتين؛ هما الشيخ زايد من أبوظبي والشيخ راشد من دبي من الدخول في الحوار الذي أفضى في نهاية الأمر إلى بسط الأمن والسلام . فالم منطقة التي طالبت بها دبي لم تكن ذات أهمية خاصة، ولم يعترف ونجح في أن يظفر بتعهد من قبيلتي المناصير وآل بوشامس باحترام هدنة لمدة شهرين. غير أن السلام الهش الذي تم التوصل إليه قد انهار بسبب عدم قيام الشيخ شخبوط بتعويض بعض القبائل التي أيدته في نزاعه مع دبي مما خسرته في ذلك النزاع، مسموعاً لدى القبائل المتحالفه مع أبوظبي، قبائل دبي. ولم تتوقف تماماً إلا في عام 1949 . كان الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن احتواء النزاعات بعد اندلاعها يصبح أمراً صعباً؛ وتحديداً في صيف عام 1950 ،